

(١)

حقوق الأيتام ، وذوي الاحتياجات الخاصة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، **وبعد:**

فإن الإسلام دين الأخلاق والقيم الإنسانية التي تحفظ لكل إنسان كرامته ، وهو دين الرفق والرحمة وحب الخير للناس جميعاً ، يكفل العيش الكريم والحياة السعيدة لجميع فئات المجتمع ، يراعي الضعيف قبل القوي ، والصغير قبل الكبير ، والمريض قبل الصحيح ، بل ارتقى الإسلام بتوجيهاته وأحكامه حتى شمل برحمته الحيوان ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (عُدِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَّتْهَا ، إِذْ حَبَسَتْهَا ، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ) ، فالإنسان لا يتميز في إنسانيته إلا بقلبه وروحه .

وتتجلى رحمة الإسلام في اهتمامه بالفئات الضعيفة التي لا تقوى على قضاء حوائجها بنفسها ، أو السعي في تحقيق مصالحها ، كاليتامى وذوي الاحتياجات الخاصة وغيرهم ، حتى يحدث التكامل والتكافل بين جميع أفراد المجتمع ، فينعكس أثره بالمحبة والمودة .

ومن حقوق الضعفاء التي كفلها لهم الإسلام : توفير الحياة الكريمة في المأكل والمشرب والمسكن ، وتوفير دور الرعاية الصحية والاجتماعية لهم ، وتنمية الطاقات الكامنة فيهم وتوظيفها في محلها .

(٢)

ومن جملة هؤلاء الذين أولاهم الإسلام برعايته وعنايته " اليتامى " الذين

جعلهم الله تعالى محل نظره ورعايته ، وسبباً من أسباب رحمته ، فمن أرضاهم رضي الله عنه وأرضاه. ولو نظرنا إلى حال اليتامى وذوي الاحتياجات الخاصة قبل الإسلام لوجدنا أنه لم يكن لهم حظ في الحياة ، من حسن معاملة واهتمام ورعاية ، فلما جاء الإسلام أمر بإكرامهم والإحسان إليهم ، والتعامل معهم بما يليق بإنسانيتهم ، بغض النظر عن اللغة أو الدين أو اللون ، ولما سئل ابن عباس (رضي الله عنهما) عن اليتيم مَتَى يَنْقَطِعُ عَنْهُ الْيَتْمُ؟ فَأَجَابَ (رضي الله عنه) بأنه : (لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ اسْمُ الْيَتْمِ حَتَّى يَبْلُغَ وَيُوْتِسَ مِنْهُ رُشْدٌ).

ونبينا الهادي (صلى الله عليه وسلم) الذي أكرم كل يتيم - شاعت إرادة الله تعالى وحكمته أن يولد يتيمًا - تطيبًا لقلوب اليتامى من بعده ، فقد لمس (صلى الله عليه وسلم) آلام اليتيم وعائش أحزانه ، حيث إنه (صلى الله عليه وسلم) ولد يتيمًا وعاش كريمًا ومات عظيمًا ، ومن ثم اهتم باليتيم اهتمامًا بالغًا من حيث تربيته ورعايته ومعاملته وضمان سبل العيش له حتى ينشأ عنصرًا نافعًا في مجتمعه ، ولأجل هذا رَغِبَ النبي (صلى الله عليه وسلم) في كفالة اليتيم ، فقال : (أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ، وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ يَعْني: السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى) ، فحق على كل من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي (صلى الله عليه وسلم) في الجنة ، وأكرم بها من منزلة.

كما جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) الإحسان إلى اليتيم علاجًا لقسوة القلوب ، فقد أتى النبي رجلٌ يشكو قسوة قلبه ، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : (أَتُحِبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبَكَ وَتَدْرِكَ حَاجَتَكَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: (ارْحَمِ الْيَتِيمَ ، وَامْسَحْ رَأْسَهُ،

(٣)

وَأَطْعِمُهُ مِنْ طَعَامِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلَيِّنُ قَلْبَكَ وَتَدْرِكُ حَاجَتَكَ). وفي رواية: (إِنْ أَرَدْتَ تَلَيِّنَ قَلْبَكَ ، فَأَطْعِمِ الْمَسَاكِينَ ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ).

ولقد ذكر القرآن الكريم أنموذجاً عملياً للاهتمام باليتيم - إشارة إلى أن صلاح الآباء ينفع الأبناء في يتمهم - ، فقال سبحانه: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} ، فلطف الله تعالى باليتيمين كان جزاءً لأبيهما على صلاحه ، فصلاح الآباء يفيد الأبناء ، يقول (عز وجل) : {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} . وقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن بركة الإحسان إلى اليتيم تملأ بيت المحسن إليه ، حيث قال: (خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ) ، هكذا أمر الإسلام الأوصياء ، وكل من له صلة قرابة بيتيم أن يحسن إليه ويقوم على شؤنه واحتياجاته ورعاية أمواله إن كان من ذوى الأموال ، ولما مات جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) تعهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أولاده وأخذهم إلى بيته ، فلما ذكرت أمهم من يتمهم وحاجتهم قال: العيلة (يعني الفقر والحاجة) تخافين عليهم وأنا وليهم؟! .

ولقد خص الإسلام "اليتيمات" بمزيد رعاية واهتمام ، فقال تعالى: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا} ، والقسط هو العدل ، وهو يقتضي ممن قام على مصالح اليتيم أن يتقي الله (عز وجل) فيها ويرعاها كما يرعى ماله ، وقال سبحانه : {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ

(٤)

فَاخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، فهذا توجيه من الله (عز وجل) برعاية اليتيم وإصلاح ماله وحاله ، سواء أكان هذا اليتيم قريباً أم غريباً ، ولو تأملنا كلمة (إصلاح) لوجدناها كلمة جامعة لكل ما يحتاجه اليتيم ويصلح حاله ، ولو أننا بحثنا في معاجم اللغة ومفرداتها عن أي كلمة يمكن أن تقوم مقامها ، لما وجدنا أي كلمة أخرى تدانيها أو تقاربها بلاغة أو فصاحة في موضعها هذا.

وفي شأن رعاية اليتيم والعطف عليه ، والإحسان إليه روي في الاثر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (مَنْ مَسَحَ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا اللَّهُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ) وَفَرَّقَ بَيْنَ أُصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى.

ولقد جعل الحق سبحانه وتعالى إطعام اليتيم أحد أهم عوامل اجتياز الصراط بسهولة ويسر ، فقال سبحانه: { فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ } ، ويؤكد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن إكرام اليتيم وإصلاح حاله والعمل على رعايته وشؤونه سبيل لمسايقته (صلى الله عليه وسلم) في الجنة ، حيث بين (صلى الله عليه وسلم) جزاء المرأة التي حبست نفسها على تربية أولادها ورعايتهم بعد موت زوجها ، وآثرت هذا العمل على حظها من الأزواج ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْتَحُ بَابَ الْجَنَّةِ ، إِذَا أَنَّهُ تَأْتِي امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي ، فَأَقُولُ لَهَا: مَا لَكَ ؟ وَمَنْ أَنْتِ ؟ فَتَقُولُ: أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ عَلَى أَيَّتَامٍ لِي).

وإذا كانت التوجيهات القرآنية والنبوية قد بينت فضل رعاية اليتيم والاهتمام به فقد حذرت من الوعيد الشديد لكل من ظلم اليتيم واعتدى على ماله ، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا} ، وقال سبحانه: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ، كما عدّ النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك من الكبائر ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ!) قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشُّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسَّحَرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْعَافِيَّاتِ) ، كما يحذرنا الحق سبحانه من قهر اليتيم والقسوة على المسكين ، فيقول سبحانه: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} ، فما بالكم وما ظنكم إذا كان اليتيم مسكيناً ذا فاقة، ومن هنا لم يترك الإسلام اليتامى نهياً للأوصياء أو الطامعين أو مستغلي ضعفهم ، وإنما شدد على حفظهم وتعهدهم بالرعاية والعناية، لئلا تضيع حقوقهم وتُهمل تربيتهم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسوله سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

إخوة الإسلام :

حينما يعطي الإسلام الأيتام والفقراء والضعفاء مزيداً من الرعاية والعناية ، فإن ذلك في مصلحة الأقوياء والأصحاء والأغنياء وكل أفراد المجتمع ، إذ يزول الحقد والحسد والمرض النفسي، وتعمُّ روح الوئام والسلام، فعن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: رَأَى

(٦)

سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ) .

ولقد كان النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) يسعى بنفسه في قضاء حوائج الضعفاء، فيزور مرضاهم ، ويطعم جائعهم ، ويقضى دين غارمهم ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يفعل هذا معهم والسعادة تعم قلبه ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يكثر الذكر ، ويُقل اللغو ، ويُطيل الصلاة ، ويُقصر الخطبة ، وَلَا يَأْتِفُ (يستكبر) أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ ، وَالْمَسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ) ، ثم بين (صلوات الله وسلامه عليه) ثواب من سعى في خدمة هؤلاء الضعفاء وذوى الاحتياجات الخاصة ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ) .

ولو تأملنا أوامر ديننا الحنيف وآدابه تجاه اليتامى وذوى الاحتياجات الخاصة وجدنا أن لهم حقوقًا كثيرة ، أهمها : دفع المضار عنهم ، وجلب المصالح لهم ، ومراعاة الجانب النفسي لديهم ، وإدخال السرور عليهم ، فعن عُمَرَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ اللَّهُ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ اللَّهُ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلَيِّنُ أَمْسِيَّ مَعَ أَخِي لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَمْضِيَهُ أَمْضَاهُ ،

(٧)

مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُبْتِغَى لَهُ تَبَتَّ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُلُ الْأَقْدَامُ).

لقد راعى الإسلام حقوق الضعفاء على اختلاف أنواعهم وتباين أسباب ضعفهم، ما بين مريض ، أو فقير ، أو يتيم ، أو امرأة صغيرة كانت أو مسنة ، أو أي من ذوي الاحتياجات الخاصة ، كما علمنا كيف نتعامل معهم ونراعي شعورهم ، والعمل على توفير الملاذ الآمن لهم ، وقد امتن الله تعالى على حبيبه (صلى الله عليه وسلم) بذلك حين قال: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى}.

إن الإسلام في احتوائه لكل أبنائه وأفراد أمته يهدف إلى غرس المحبة فيما بينهم ، فيتقدم المجتمع ويرتقي في جو يسوده الحب والتعاون والرحمة والتسامح .
فما أحوجنا إلى تنمية الحس الإنساني، والتكافل الاجتماعي ، والرحمة بالفقراء والضعفاء والأيتام والمساكين ، وألا يخطر ببالنا أنهم عالة علينا ، إنما هم سر العون والرحمة والبركة من الله (عز وجل) ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (وهل تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ إِلَّا بضعفائكم؟!).